الصهيونية في السينما

مصطفى درويش

الصورة اصدق انباء من الكلمة ، ولا غرابة في هذا لان الصورة تعبر عن الواقع بالواقع في حين ان الكلمة لا تعدو ان تكون تعبيرا عنه بالرمز . ولعله مما يؤيد ذلك تلك الصورة التي استهلت بها مجلة « كراسات السينما » الفرنسية عددها عن ديسمبر عام ١٩٦٣ المكرس للسينما الامريكية(١) . فما الذي جاءت به هذه الصورة من انباء تعبر عن الواقع تعبيرا اصدق من الكلمة ، بل فيه غناء عنها ؟

ان الصورة عن هوليوود عام ١٩١٨ اي في عهد الرواد الاوائل الذين بنوا مصنع الاحلام . وهو عهد يمتد من عام ١٩١٣ حتى عام ١٩١٩ . وفي الصورة نخبة من هؤلاء الرواد لا تزيد عن سبعة رجال وامراة واحدة هي « جلوريا سوانسون » نجمة السينما الصامتة الذائعة الصيت . ولا يهمنا من الرجال السبعة سوى ثلاثة شاءت الصدفة بل قل الحكمة ان يتراصوا الى جوار بعض محيطين بالنجمة المتدثرة بمعطف من فرو اسود ثمين . فمن هم هؤلاء الرجال الثلاثة الذين وقفوا الى جوار بعض متساندين ؟

أولهم الى يسار الصورة هو « هربرت روتشيلد » يليه « ادولف زوكور » ثم « سيسيل ب دي ميل » ، اي الممول فالمنتج فالمخرج . وقد لعب كل واحد منهم دوره الهام وبتنسيق تام في بناء المصنع الذي ظل ينتج الافلام لمدة خمسين عاما او ما يزيد من عمر الزمن . ويبدو لمن لا يحكم على الامور الا بمظاهرها ان دور « ادولف زوكور » و « سيسيل ب دي ميل » في بناء مصنع الافلام هو الدور الرئيسي . الاول باعتباره الرائد المجري الذي اسهم في تأسيس شركة « بارامونت » — تلك الشركة التي تعد بحق أهم احتكارات هوليوود وأكثرها تأثيرا في مسار السينما الامريكية — والذي نحت عبارة «الجمهور لا يخطىء ابدا»(٢) لتتخذ منها هوليوود شعارا لسلعها التي غزت بها القلوب والجيوب ، وتبريرا لانتاج سوقي لا يراعي حرمة لصدق او لفن .. واكتشف نظام النجوم ترصع به سماء عاصمة السينما ليتحول الى سديم بدايته « ماري بيكفور » فتاة بريئة معبودة للجماهير ونهايته « مارلون براندو » ابا روحيا عدوا للجماهير . ولانه ما زال يعيش ليطفىء يوم السابع من يناير الماضي مائة شمعة(٣) .. ومن حول رأسه الذي اشتعل شيبا ابطال هم في حقيقة الامر بقايا كعبة السينما تحولت الى اطلال .. ولو دققت في وجوه هؤلاء الابطال لتعرفت بعد عناء على شارلتون هستون وجريجوري بك وبوب هوب وبت ديفيز وجروشو ماركس وغيرهم ممن كانوا نجوما في سالف الاوان .

والثاني « دي ميل » باعتباره الرائد الامريكي الذي أسهم بجرأته وحذقه في انتاج واخراج سبعين فيلما(٤) بدأت صامتة « بزوجة الهندي » (١٩١٣) وانتهت متكلمة « بالوصايا العشر » (١٩٥٦) .. واستباح الاديان والقصص في الكتاب المقدس فاظهر « موسى » على الشاشة مرتين صامتا مرة (١٩٢٣) ومتكلما مرة اخرى (١٩٥٦) والسيد المسيح في « ملك الملوك » (١٩٢٧) و « شمشون ودليلة » (١٩٤٩) . واستحدث بعض القواعد لتحريف التاريخ وتشويهه .. ما تزال جمهرة مخرجي